

المشروع السياسي للمقاومة الإسلامية في لبنان

غسان ملح*
*

يثير الحديث عن دور حزب الله في مقاومة العدو الإسرائيلي تساؤلات عدّة حول الخلفية السياسية التي تقف وراء هذا المشروع، الذي يمتد من الجنوب اللبناني إلى الجمهورية الإسلامية في إيران، مروراً بنظام الأسد في سوريا، كما المقاومة الفلسطينية في غزة، إلا أن حصر الكلام بالتجربة اللبنانية في هذا الشأن يدفعنا إلى الخوض في الغاية السياسية التي ينشدها الحزب من وراء هذه المقاومة المسلحة، تبعاً للشعارات التي يرفعها وينادي بها. فما هي الأطروحة السياسية التي يحملها الحزب؟ وهل من روزنامة سياسية يعمل على تنفيذها؟ بل وما هي رؤيته السياسية لمرحلة ما بعد التحرير؟ وهل يمكن تحويل المقاومة التي انتصرت إلى مشروع سياسي يرمي بعيداً إلى تصويب ممارسة الحكم وإصلاح بنية النظام في لبنان؟

إن مراجعة سريعة لمسار تطوّر وصعود حركة المقاومة الإسلامية في لبنان، منذ تأسيسها في 1982، تُفيد بأن هذا الحزب قد حقق بدون أدنى شك إنجازات عديدة على أرض الواقع. فقد خاض مواجهات عنيفة مع الجيش الإسرائيلي طوال العقود الثلاثة الماضية، تمثلت في العمليات العسكرية النوعية التي قام بها رجال المقاومة، والتي أفضت إلى تحقيق الانتصار التاريخي في 2000 بدمر الاحتلال الإسرائيلي من الجنوب والبقاع الغربي. ثم وقعت حرب تموز في 2006، التي كان فيها صمود لبنان البطولي، شعباً وجيشاً ومقاومة، ومن قبلها تحرير الأسرى والمعتقلين في السجون الإسرائيلية في 2004. بيد أن الأهمية السياسية التي تكتسبها إنجازات كهذه، من المنظور الاستراتيجي، تقودنا إلى البحث في مستقبل المقاومة في الغد غير المعيد. فالنجاح الذي حالف الحزب في ميدان الصراع العسكري مع الإسرائيليين يجعلنا نتساءل عن مدى إمكان نقل هذه الانتصارات إلى الداخل اللبناني ذي التوازنات التاريخية الدقيقة.

تجدد الإشارة هنا إلى أن حزب الله لا يزال يؤكد على أن تحرير كامل التراب اللبناني من الاحتلال الإسرائيلي لم يتحقق بعد في ظل استمرار هذا الاحتلال المزراع شعباً وتلال كفرشوبا؛ فضلاً عن أن قيادة المقاومة تربط بقاء السلاح باستمرار التهديد الإسرائيلي لأمن واستقرار لبنان. مع ذلك، تكتسي مشروعية بقاء

المقاومة أهمية خاصة في السجال الداخلي الدائر بين اللبنانيين. والحديث هنا يقتصر على محاولة الوقوف عند مدى إمكان استمرار العمل المقاوم، أو ربما إقرانه بطرح سياسي جديد يمثل مدخلاً للانخراط في العملية السياسية البحتة في المستقبل. في هذا السياق، يمكن توزيع النقاش إلى ثلاثة مستويات متدرجة ومتوازية من التحليل والرصد بهدف الوصول إلى خلاصة قابلة للتطبيق حول آفاق الاستمرار، والتكيف المستقبلي لهذه المقاومة

كمكون أساسي في النسيج الوطني. المستوى الأول يتعلق بالمبادرة إلى تشكيل الفريق السياسي المكلف بالعمل في حيز الشأن العام الوطني وتحقيق إمكان التجديد في النخبة السياسية داخل الحزب. وقد تحقق هذا الأمر من خلال الظهور والتشكل التدريجي داخل الحزب وداخل المؤسسات الدستورية اللبنانية، وفي مقدمتها مجلس النواب، للمجموعة المعنية من قبل الحزب بمتابعة مجريات الحياة السياسية والتعامل معها حسب المقتضى. وهي تجسد في الكتلة النيابية، أو الممثلين المنتخبين، وبإثارة المستشارين والمسؤولين السياسيين حزب الله. فقد بات لديه نخبة تتعاطى السياسة في الداخل اللبناني، كما تدير العلاقات الخارجية للحزب، كما أصبح قادراً أيضاً على تأمين مسألة تجديد هذه النخبة السياسية على الدوام، وإدخال العناصر الجديدة إليها وفقاً لسلم الترقى السياسي، الذي ينتهجه الحزب ضمن أطره التنظيمية الداخلية. إن العمل السياسي يفترض الإقناع، وهو لذلك يفرض على حزب الله إيجاد أو إفران الطبقة المؤهلة لأداء فعلي التصريح السياسي والممارسة السياسية على نحو جيد، وهو الأمر الذي أدركت قيادة المقاومة منذ البدء كيفية إنجازها كأساس لأية مشاركة سياسية محتملة أو مرتقبة في المستقبل.

المستوى الثاني يحيلنا على العمل على وضع مشروع سياسي وطني يتبناه الحزب على نحو رسمي ويعمل على تحقيق أهدافه في المجالين الداخلي والخارجي. والمسألة هنا لا تقتصر فقط على إشهار حالة العداء لإسرائيل دون سواها. إن الشروع في عملية صياغة مشروع سياسي ذي طابع وطني يستلزم المقاربة الدقيقة للعديد من القضايا السياسية والاجتماعية المطروحة على الساحة، ومنها الإصلاح السياسي والإداري في لبنان، العلاقة مع سوريا، الصراع مع إسرائيل بطبيعة الحال،

العلاقة مع الغرب، الرؤية المتعلقة بطبيعة النظام السياسي اللبناني وآفاق تطويره، هوية لبنان قبلاً وعلاقته بالعرب، النظام التربوي وسبل تحديده، الموقف من الحرية الاقتصادية والمبادرة الفردية كما الملكية الخاصة وغيرها من أقاليم الانتظام العام. حول هذا الموضوع، من الواضح أن الحزب، حتى اللحظة، لم يبادر إلى أو لم يتمكن من إعداد مشروع متكامل

ثمة قناعة في العقل السياسي لحزب الله بأنه يهتك جهاة إيمانية جهادية لا تحتها النشاط السياسي

للدرد على كل هذه التحديات الوطنية، أو أنه في الحقيقة لم يجاهر علانية بما يعتنقه في هذا الشأن لاعتبارات تتعلق بالواقع الفئوي في لبنان، الذي لا يسمح في كثير من الأحيان باتخاذ مواقف ثابتة ونهائية أو الإفصاح عنها، وإنما محاولة الدخول دوماً في التسويات

المرضية لجميع الأطراف. وهو الأمر الذي يقضي بعدم بت الأمور المصرية أو الخلافية، بمعنى عدم تبني وجهة نظر فريق يعينها على حساب سائر الأفرقاء. مما لا شك فيه أن الحزب في هذا المجال قد شهد تطوراً ملحوظاً، وربما تحولاً لافتاً، بفعل الواقعية السياسية التي يتمسك بها، في رؤيته العامة بين صدور الوثيقة السياسية الأولى له في 1985 ومن ثم الإعلان عن الوثيقة السياسية الثانية في 2009، إذ إن التجربة التي خاضها الحزب خلال هذه الفترة الممتدة من 1985 إلى 2009 جعلته طبعاً يعيد النظر في كثير من الشعارات أو الخيارات، أو أقله يترث في تقدير بعض الأمور والتقرير بشأنها. إلا أن خطوة الإعداد الكامل لمشروعه السياسي الوطني، كمقدمة لدخول المعترك السياسي على نحو ناجح، لم تتحقق حتى الآن، أو أقله لم تستكمل بعد. فالحزب لا يملك أو لم يعلن بعد خطة وطنية كاملة ومنكاملة يحدد فيها أهدافه العليا وكيفية تحقيقها، ما خلا مواجهة العدوان الإسرائيلي وإنجاز التحرير. بهذا المعنى، فإن الحزب مطالب ومعني بالإجابة عن الكثير من الأسئلة التي يحتمل الرد عليها خيارات عدة، وربما متناقضة أحياناً.

المستوى الثالث يتطرق إلى المباشرة الفعلية بتعاطي العمل السياسي من موقع المسؤولية



ذكرى قادة حزب الله في 2010 (أرشيف - مروان بو حيدر)

عذراً فرج الله الحلو

سعد الله مززعاني*
*

في مثل هذه الأيام قبل 53 سنة، استشهد القائد الشيعي الكبير فرج الله الحلو تحت الضغط الإجرامي لآلة القهر والتعذيب الاستخباري، وبعد ساعات من اعتقاله في غرفته الصغيرة في دمشق. قبل ذلك بحوالي عام كان فرج الله قد كتب في جريدة «النور» في دمشق أيضاً: «أهلاً وسهلاً بعيد الناصر». ورغم ذلك فقد اغتيل، لكن جرى إنكار اعتقاله، ثم تزويج جسده بالأسيد لإخفاء كل أثر للجريمة. قصة هذه الجريمة النكراء ظلت تُحيل على الدوام إلى التباسات لا يزال بعضها ماثلاً حتى الآن: لماذا جرى اغتيال الشهيد بهذه السرعة القياسية؟ هل توفي فجأة و«بشكل طبيعي» كما يذكر الصحافي والكاتب المعروف محمد

حسنين هيك؟ هل جرى إبلاغ جمال عبد الناصر رئيس «الجمهورية العربية المتحدة» بالاعتقال؟ قبل ذلك: لماذا ذهب فرج الله الحلو إلى دمشق، لماذا هو دون سواه، وفي تلك الظروف الصعبة، حيث غادر دمشق كل أعضاء القيادة تفادياً للاعتقال وملحقته، وفي المقدمة منهم خالد بكداش الأمين العام للحزب الشيعي السوري؟

وفي امتداد هذه الأسئلة، أسئلة «خاصة» أيضاً: ماذا كان دور خالد بكداش، الأمين العام والقائد البارز آنذاك، في إرسال فرج الله إلى دمشق؟ هل هو من طلب؟ هل هو من ألح بعد ما ذكر عن تأفف فرج الله من مهمة ليس من المناسب أن ينفذها شخص معروف وملاحق (تراجع بهذا الصد كتابات لكل من الرفاق يوسف خطر الحلو وكريم مروة وجورج حداد...)?

في الجواب عن أسئلة «الموت الطبيعي» أو الاغتيال، يقدم سامي جمعة، مسؤول مفززة المباحث السورية التي اعتقلت فرج الله الحلو آنذاك، أجوبة قاطعة بشأن الاعتقال وتأكيد الموت تحت التعذيب. أما معرفة القائد الكبير جمال عبد الناصر بالأمر، فقد تلعب مسألة قصر المدة ما بين الاعتقال والاعتقال لمصلحة تبرئته من المسؤولية المباشرة... وبشأن دور خالد بكداش فلا بد من عودة سريعة إلى موقفه السلبي من الوحدة الإندماجية بين مصر وسوريا، ومقاطعته جلسة التصويت على قرار الوحدة، وكان نائباً في البرلمان السوري،

يعاني الحزب الشيعي اليوم من تسرب النزعة البكداشية إلى مستويات أساسية في هواقعه القيادية

ومن ثم سفره وعودته حاملاً «البنود الـ13» التي تطالب بإعادة النظر في الوحدة وتضع الكثير من الشروط والمطالب. أدى ذلك إلى صراع تصاعد بين أجهزة دولة الوحدة والحزب الشيعي السوري، واللبناني استطراداً. وقصة ذلك، رغم انفصال الحزبين الشيعيين في سوريا ولبنان رسمياً منذ عام 1943، أن خالد بكداش ظل متسلطاً على قيادة الحزب الشيعي اللبناني، وظل عملياً يقود عمل الحزب في البلدين ويستخدم ذلك في تعزيز

نفوذه في سوريا ولبنان على حد سواء. لقد طبعت نزعة التفرد والتسلط كل سلوك خالد بكداش وعلاقاته. وهو سخر في سبيل ذلك مواهبه القيادية وعلاقاته الأمامية، كما استغل طيبة أجيال متعاقبة من المناضلين وبراءتهم، والتي كانت تذهب إلى التصحية بوجهها إيمان عميق بالقضية وثقة عمياء بالقيادة.

فرج الله، القائد هو الآخر، المتواضع والمحبوب والمبادر والمتفاعل حتى الجذور مع بيئته وناسه، أزعج تسلط خالد بكداش. أزعجه أكثر حين أعلن مواقف متميزة عن مواقف «الرفاق السوفيات» بشأن قرار تقسيم فلسطين، الذي أيّده في مجلس الأمن. كذلك كان فرج الله بتقاريره وسلوكه يقدم مواقف ونماذج، برز فيها الفرق هائلاً ما بين الأسلوبين والكثير من مواقفهما. فلم يتردد فرج مثلاً في 1937 وفي اجتماع قيادي في دمشق، وبحضور بكداش نفسه، في تضمين تقريره فقررة تقول: «لا يحق لغير الهيئات الحزبية المنتخبة بالطرق القانونية أن تتخذ القرارات. ولا يقبل الحزب الشيعي وجود هيئة أو زعيم فرد فوق قانون الحزب العام، كما يحصل في الكثير من الأحزاب الأخرى».

طارد خالد بكداش فرج الله منذ أن تمكن من ذلك: حرّض عليه، اتهمه، أبعده إلى الخارج، لفق له ملفاً استمر إعداده وتعظيمه بـ«الاعتراقات»، طيلة ثلاث سنوات. وأخيراً جرى وضع فرج الله أمام خيارين: إما «الإقرار» بـ«أخطاء» لا تخطر إلا على بال متامر ومتجنّب، أو الطرد من الحزب. وهذا الأمر استخدمه بكداش مع كثيرين قبل وبعد: مع الشهيد جورج حاوي، وحتى مع

نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب ■ مدير التحرير: إلياس شلموب، وديف قاصوه ■ اقتصاد: محمد زبيب ■ مطبوعات: حسد عليف ■ محترم: مهدي زراقات ■ عالم: حسام كفتاني ■ ثقافة: وائل، أمال الندرجي ■ وحدة الأبحاث: عمر نشابة ■ المدير الفني: إيهك منعم ■ مدير الموقع الإلكتروني: منصور عزيز ■ رئيس مجلس الإدارة: إبراهيم الأمين ■ الإدارة المالية: فادي خليل ■ الموارد البشرية: ريم اسماعيل ■ الإدارة الإعلامية: محمود بدر ■ المكاتب: بيروت - فزاد - شام - دونان - سنتر كونيورد - الطابق السادس ■ تلفاكس: 01759500 01759597 ■ ص. ب. 5963/113 ■ www.al-akhbar.com ■ الإعلانات: Tree Ad 03/252224-01/611115 ■ التوزيع: شركة اللوانك 03/828381-01/666314-15

الزخار

تأسست عام 1953
تصدر عن شركة «إخبار بيروت»

رئيس التحرير المؤسس
جوزف سباحة
(2007-2006)

مستشار مجلس التحرير
انسب الحاج

رئيس التحرير: المدير المسؤول
إبراهيم الأمين